# المرافعة الأولى

## الفصل الأول :الأسلوب ونسق الحقيقة

### المقدمة :

كانت المحاكمة الأولى في إمرالي لعبةً استعراضية ، فكل شيء كان مخططاً ومرتباً له وفق مخطط مرسوم ، وبأدق التفاصيل ، بدءاً من يوم إصدار القرار ، مروراً بمزايا وموطن رئيس القضاة المعين ، وبالمشاركين في سياق المحاكمة ، وانتهاءً بكيفية استخدام الوسائل الإعلامية .

فالاتفاق بهذا الصدد كان قد تمّ مع أمريكا والاتحاد الأوروبي ،وما كان يقع على عاتق القائد عبدالله اوجلان حيال هذا الواقع ، هو ألاّ يكون مدافعاً قانونياً زائفاً ، حيث لم يكن أساساً ثمة ما يسمى بالقانون ، والوضع ذاته كان سارياً على الاتحاد الأوروبي أيضاً ، فالمشكلة كلها كانت تتعلق بكيفية استثمارهم للقائد أوجلان ضمن إطار القضية الكردية ، ولهذا فأول امرٍ وجب على القائد أوجلان القيام به تجاه هذا الوضع ، هو تقديم مساهمة في المسار السياسي ، ولهذا فقد كانت ماهية الرسالة السياسية للمرافعات مهمة ، فضلاً عن أنه كان من الضروري البحث عن أجوبة جذرية للمغالطات الجدية التي قد تسفر عن نتائجه وخيمة ، ولهذا فقد ركز في الفصل الأول من مرافعته الأولى على ( الأسلوب ونسق الحقيقة ) لما لهما من الاهمية الكبرى ، وذلك لأن الأسلوب يعبر في مدلوله عن السبيل ،أو الطريقة المألوفة في البحث ،حيث سيساعد تعريف هذه السبل المجرّبة تاريخياً ،وحاضراً على تسليط الضوء عليها ، بينما نسق الحقيقة فهو يعبر عن أفضل الأساليب التي تمكّن المرء من الوصول إلى معنى الحياة .

### تعريف الأسلوب :

الأسلوب كمصطلح يشرح أشكال المقاربة السليمة والعادة المألوفة ، أو الطرق المختصر الذي يؤدي إلى النتيجة المأمولة المعنية بالأهداف ، فلدى الجزم بالسبيل المباشر ،والمختصر ، والصحيح للوصول إلى الهدف ، يكون قد اتُّبع الأسلوب المناسب ، حيث يكمن الجانب الإيجابي للأسلوب في كونه مجرّباً ، وفي قدرته على إعطاء النتيجة المطلوبة ، وتحديده بعد اختبارات طويلة ، أمرٌ لا مفرّ منه لأجل المهتمين بالسير عليه ، فهو أشبه بالعلاقة بين المريد المرشد .

### أنواع الأسلوب :

1-الميثولوجيا(علم الأساطير ):

تُعتبر الميثولوجيا أسلوباً ،وطريقة للكشف عن الحقيقة ، كونها تستند إلى رؤية كونية، وبالرغم من أن نظرتها إلى الطبيعة على أنها حيوية ، وعامرة بالأرواح ، تُعتبر تقييماً طفولياً ، إلا أن الميثولوجيا لا تُعتبر أسلوباً خاطئاً ، وذلك لأن المقاربة الميثولوجية من حيث روابطها مع الحياة هي أيكولوجية(علم البيئة ) بكل تأكيد ، ومنفتحة على الحرية ، وليست قدرية (التي تعتبر أن كل حدث يحدث محدد ، ومكتوب سلفاً )، وهي بعيدة عن الحتمية (التي تؤمن أن كل ظاهرة في الطبيعة مقيدة بشروط حدوثها ).
فالميثولوجيا أسلوب رئيسي ، ومهم لفهم المجموعات البشرية التي عاشت أطول فترات حياتها على شكل أقاويل ، وقد تمّ البرهان كفاية على أن الأساليب العلمية الراهنة هي بالأغلب عبارة عن ميثولوجيات ،حتى و لو أظهرت وكأنها مضادة تماماً للأسلوب الميثولوجي .

## 2-الأسلوب العلمي :

يرتكز الأسلوب العلمي إلى مصطلح (الموضوعية) الذي ينادي به (الفكر التحليلي) ، والذي يقوم على فكرة مفادها : ما من قيمة لا يمكن إخضاعها للعملية ، إذ يمكن استغلال كل ما في الطبيعة من حي وجماد ، والتحكم بها وتملُّكها ، بحيث لا يقتصر الأمر على كدح الإنسان فحسب ، بل ويمكن البحث والتنقيب فيها ، والتمتع بحق استغلالها بكافة الأشكال ،وفيما عدا الذوات المنتقاة بحق النظر على كل شيء على أنه ميكانيكي وبالتالي يحق التحكم به ، واستغلاله بلا رحمة أو رأفة ، أما الفرد المواطن ، ومجتمع الدولة القومية ، المنظّمان كذاتين أساسيتين في مواجهة الطبيعة والمجتمع ، فهما ( ابتكاران جديدان ) يتميزان بطاقة جنونية قادرة على فعل كل شيء ، بصفتهما إلهين غير مقنّعين ، بدءاً من تنفيذ الإبادات الجماعية إلى إقحام البيئة في حالة لا تطاق ، فالنظر إلى المقاربة الموضوعية الشيئية على أنها مصطلح نزيه تماماً في الأسلوب العلمي ؛ قد تسبب في كوارث مهلكة ، وانحرافات كبرى ، وعليه ، فالموضوعية الشيئية ليست مصطلحاً علمياً نزيهاً على الإطلاق .
ويُعدّ الأسلوب العلمي بحد ذاته وسيلة لأكبر تقسيم طبقي ، حيث لعب دور المعين والحاسم في إفلاس (الاشتراكية العلمية ) ، وذلك لأن التفسخ ، ثم الانهيار الداخلي اللذين لحقا بالاشتراكية العلمية ، وبكافة مشتقاتها ، أو مرورها بفترة تحول من رأسمالية الدولة المباشرة إلى الرأسمالية الخاصة ،بعد اجتيازها مرحلة طويلة من التطبيق العملي ، وتشييد النظام الاجتماعي ،يرجع في أساسه إلى الأسلوب العلمي ، ورؤيته في التشيؤ( إرجاع الكائن العاقل إلى مستوى الأشياء ) .

فكافة البنى العلمية التي تنيط التمييز بين الذات والموضوع بدورٍ أساسي ، هي أسيرة استقلالياتها ، لدرجة أنها تزعم تفوّقها على ضروب القيم والمُثُل المجتمعية كافة ، فالانحراف الأكبر باسم العلم مخفيّ في هذه المزاعم ، وربما لم يشهد التاريخ التحام العلم مع النظام المهيمن في أي عصر ،مثلما هو عليه في العصر الرأسمالي ، فدنيا العلم ، بدءاً من أسلوبه إلى مضمونه ، هي أعظم قوة إنشائية لدى النظام ، وهي القوة التي تصونه وتُؤَمّن شرعيته ، وبناءً على ما سبق ، فالأسلوب العلمي مع كافة العلوم الناشئة ضمنه يشكل القوة الأساسية التي تؤمّن، و تؤدي إلى تعزيز آلية الربح في النظام من جهة ، وإلى تكريس الحروب والأزمات، والآلام والمجاعة والبطالة ، ودمار البيئة والانفجار السكاني من جهة ثانية ، بحيث شملت كافة قطاعات المجتمع وحلقاته الداخلية والخارجية ، وما عبارة (العلم قوة ) سوى تعبير عن الافتخار بهذه الحقيقة .

3-الأسلوب الديني :

إن اهم جانب في الأسلوب الديني ، بصفته طريقة للتعوّد الذهني ، يستنبط من تجذيره لمفهوم القدرية ، ومن شرعنته للخضوع العبودي البارز لدى الحشود البشرية ، حصيلة التقاليد الصارمة على مر آلاف السنين ، فقد غدا الاستغلال الكارثي ، ونشوب الحروب المُهوّلة أمراً ممكناً بفضل هذا الأسلوب ، أي العيش بموجب الكلام المقدس وأمر الرب ! ، لا ريب أن هذا الأسلوب سهّل الأمور كثيراً على الممسكين بدقة الحكم ، حيث تأسس ديالكتيك الراعي –القطيع ،وأبرزت العبودية على أنها مرحلة ضرورية لابد منها في سياق تطور المجتمعات ،بل وتعدّى الأمر ذلك ، ليصل درجة يكاد يُجمَد فيها الواقع الطبيعي اعتمادا على مفهوم المجتمع الثابت الذي لا يتغير ، فمن جانب أخر ، ثمة مفهوم الإله المتفوق والمتعالي على كل شيء ، الفعال للغاية ، خالق كل شيء ، الآمر الناهي ، الحاكم المتحكم بكل شيء ، وقد تحول ذلك إلى معادلة جدلية حتمية مطلقة .

## الانتقال من المفهوم الميثولوجي ، إلى المفهوم الديني الدوغمائي :

يُعتبر الانتقال من المفهوم الميثولوجي ، صوب المفهوم الديني الدوغمائي ،مرحلة عظمى مرتبطة عن كثب بالتحول الحاصل داخل المجتمع اعتماداً على الهرمية ، والتمايز الطبقي ، وانعكاسه على الميدان الذهني أيضاً ،فعلاقة التسلّط والاستغلال تشير إلى الحاجة إلى القوالب المحصّنة عن المساءلة ،فالقدسية وكلام الله ، والحصانة وغيرها من القيم المسلّم بها ، وكذلك القوالب الجامدة الممنوحة كلها أمور تتعلق بإخفاء الاستغلال ،

وبصون المصالح الطبقية ، وبشرعنة الهرمية والسلطة ، فبقدر ما يسود الحكم الصارم في مفهوم ما ، فإن الاستبداد والطغيان والاستغلال ، يكونون مخفيين فيه بالمثل .
فالمقاربة الدينية في المرتبة الثانية ، بعد المقاربة الميثولوجية من حيث كونها الأكثر تأثيراً لعصور طويلة في تاريخ البشرية ، يمكن الابتداء به مع التاريخ المدوّن أو قُبيله ، أو بُعيده ، و ما يتوجب استيعابه هو أسباب كل هذه الحاجة للقوالب الدينية ، واضح تماماً أن هذه المقاربة أسلوب بحد ذاته ، فالقاعدة الأساسية في المقاربة الدينية، هي الحراك بموجب الكلام المعرّى إلى الآلهة ، التي تعد فوق الطبيعة والمجتمع بصفتها غاية الحياة ، وسبيل الوصول إلى الحقيقة ، وانحراف المرء ، أو ابتعاده عن هذا الكلام يعني تحمّله كل أنواع الاشغال الشاقة ، وعيشه شتى ضروب العبودية ، وهو على قيد الحياة ، بينما يكون مصيره بعد الممات الهلاك ، فنحن على عتبة إنشاء الآلهة المقنعة ، ويمكن التلمّس بكل سهولة أن هذا الإله ليس في الحقيقة سوى ذاك الزعيم ، أو المستبد الجبار الذي يصدر الأوامر بحق المجتمع ، ويطبق الاستغلال ، والتقنّع المفرط مرتبط عن كثب بتشويش إدارك الانسان فتسمية الطغاة المستبدين لأنفسهم في بدايات ظهورهم بالملك – الإله ، تعبر عن هذا الأمر ، فكلما تجذّر القمع والاستغلال ، تحول الأسلوب الديني الدوغمائي إلى مسار منقوش في ذهن الإنسان ،أي ، تمّ إنشاؤه كواقع اجتماعي أُمّن به خنوع الإنسانية لنير عبودية طويلة الأمد ، لتتخبط تحت وطأة حكم المستبدين الطغاة المتقمصين قناع الرب ، والذين حولوا الحياة إلى قحط شحيح يكتم الأنفاس .

## الأسلوب الديني ،والأسلوب الدوغمائي:

يتجسد الجانب الإيجابي في الأسلوب الديني ، في قطعه أشواطاً ملحوظة في ظاهرة الأخلاق ضمن المجتمع، ففي هذه المرحلة ، وفي ظل هذا الأسلوب تعرضت ثنائية الفضيلة –الرذيلة لتمايزات كبرى ،فقُيّدت بأحكام قطعية صارمة ، الخاصية الأساسية الملفتة للنظر في هذا الأسلوب ، هي مرونة ذهن الإنسان ، وبالتالي ، اتسامه بالسمة التي تمكّن تأهيله ، ورسم ملامحه ، هذه الذهنية التي تميز الإنسان عن عالم الحيوان ، تشكل الأرضية الأساسية للتطور الأخلاقي ، حيث لا يمكن تحقيق المجتمعية ، أو القيام بالإدارة والتوجيه من دون الرجوع إلى الأخلاق ، فالأخلاق في الأسلوب تكوينة وحقيقة وإدراك إداري لا غنى عنه بالنسبة للمجتمع ، ومن دون الدخول في الجدال حول مضمون الأخلاق الإيجابي أو السلبي ،فإن التطور على هذا الصعيد يُعتبر ضرورة حتمية للوعي الاجتماعي ، فالأخلاق إدراك ميتافيزيقي (أي ما وراء الطبيعة )، ولكن هذه الخاصية لا

تجعل منها موضوعاً تافهاً ، أو مرفوضاً فمجرد التفكير بالمجتمع البشري مجرداً من الأخلاق ، يعني انقراض الجنس البشري ، أو القضاء على بنية الحياة التي تحيط به .
والأسلوب الدوغمائي (الجمود الفكري )،لا يطغى على الأديان الأساسية فحسب ، بل ويسود في الفكر اليوناني الكلاسيكي أيضاً حيث يحتل الأسلوب الدياليكتيكي ، والمقاربات الموضوعية المادية حيزاً محدوداً جداً فيه ، فمثاليات أرسطو وأفلاطون كأساليب سائدة ، غدت الدعامة الأمتن للأسلوب الديني الدوغمائي في العصور الوسطى ، فكون أفلاطون فيلسوف المثالية ، بل مبدعها الأعظم ، او القبول بأنه كذلك ، قد جعل منه العزيز المحبّب والمقرّب إلى المقاربات النبوية، إنه الفيلسوف الأقرب إلى النبوة .
وتُعتبر تقاليد النبوة في الأديان الثلاثة الكبرى ، القوة المُؤسّسة للأسلوب الدوغمائي المنقّى من الشوائب ، ويتمثل الجانب المسيطر في هذه الأديان الثلاثة في كونها مُؤسّسة للأخلاق الميتافيزيقية .
وبناءً على ماسبق ، فمناهضة الأسلوب لا تعني إنكاره كلياً ، ولا البحث عن أسلوب بديل ، ومن الضروري القول أن الانفتاح أكثر على إمكانية التفسير الأقرب إلى خيار الحياة الحرة يتميز بمعانٍ أسمى ، ولئن كانت الغاية هي بلوغ معنى الحياة ، فعلى الأسلوب أن يكون وسيلة تفضي إلى ذلك ، فالدولة الكبرى والإنتاج الصناعي الضخم لوحدهما قد ألحقا الحروب والدمار بالبشرية ، بدلاً من السعادة والرفاه ، فلدى اتحاد الإنتاج مع القوة ، يتزايد الابتعاد عن المعنى ، وفي جميع الأوقات يأتي أصحاب الادخار في مقدمة الشرائح البليدة التي لا تُبدي التفهم للحياة ، في حين يُنظر إلى الادخار بعين الشك والريبة داخل المجتمع ، وإن الخلاص من مشكلة الأسلوب، أو تخطيها والتغلب عليها ، يتضمن معانٍ متأصلة ، حيث يستوجب محاسبة العصر والمدنية المعاشين .

## دور المنهج العلمي في النظام الرأسمالي :

يلعب المنهج العلمي دوراً مهماً في تحويل الرأسمالية نظاماً عالمياً ، حيث يتم التمييز في هذا الأسلوب الجديد بين الذات والموضوع ، في حين لم يكن للذات والموضوع مكان بارز في الأسلوب الدوغمائي القروسطي (والذي يعني بالمناخ الحار في المحيط الأطلسي )، بل تمييزا بوظيفة خافتة كالظل .
فأوروبا الغربية التي شهدت صحوتها مع النهضة ، قد فتحت آفاق عصر جديد في مظهر الذات والموضوع ، بالترافق مع ثورة التنوير الفلسفي ، وتحقيق الإصلاح في المسيحية ، هكذا غدت ذاتية الإنسان ، وموضوعية العالم تشكلان حجر الزاوية بصفتهما عاملين أوليين في الحياة ، في تتهاوى

أهمية الأسلوب الدوغمائي العامل أساساً بكلام الرب ، إلى جانب تدني الأخلاق ، ويتم الانتقال من عصر الملوك المتسترين والآلهة المقنعة القديمة ، إلى عصر الملوك العراة ، والآلهة غير المقنعة ، وطراز الاستغلال الرأسمالي بات المحفّز الأساسي المؤدي إلى ذلك الانتقال ، فالاستغلال المتحقق باسم الربح يستدعي تغيير وعي المجتمع من جميع المناحي، بالضرورة التي تُعد المؤثّر الأساس الذي أفضى إلى ولادة (الأسلوب العلمي )، لقد باتت الإنسانية والطبيعة وجهاً لوجه أمام أقصى درجات الاستغلال ، وسوف يُعاد إنشاء ضمير المجتمع بإحداث تغيير ذهني شامل عليه ، لأنه لن يقبل الاستغلال بسهولة ، لذا سيقع الدور الأكبر على عاتق (الأسلوب العلمي ) كسبيل أساسي صائب ، فتعريف الطبيعة بأحيائها وجمادها على أنها (مادة شيء ) بما في ذلك جسد الإنسان ، قد لعب دور المفتاح في استغلال الرأسمالية للطبيعة والمجتمع وتحكمها بهما ، ذلك أنه من غير الممكن تحقيق التحول الذهني اللازم للعبور نحو العصر الحديث ، من دون تجذير التمييز بين الذات والموضوع ، وإضفاء طابع شرعي كبير على ذلك .

فينما تكون الذات الفاعلة العامل الشرعي الأكثر تداولاً وقبولاً في التفكير التحليلي ، فإن الموضوع الشيء يُعتبر عنصراً مادياً ملموساً يُمكّن من القيام بكل أنواع المفارقات والإشاعات ، فهو يمثل الموضوعية الشيئية ، وقد نشبت صراعات مريرة بسبب هذا التمييز ، إذ يجب عدم تقييم الصراع بين الكنيسة والعلم كمجرد نزاع على الحقيقة ، حيث تستتر نضالات اجتماعية عظمى وراءه ، فما حصل هو بأحد معانيه ضرب من ضروب الصراع بين المجتمع القديم المشحون بالأخلاق ، وبين المجتمع الرأسمالي العاري والساعي لنزع الستار الأخلاقي عن ذاته، فالمسألة ليست مجرد نزاع بين الكنيسة والعلم ، بل هو صراع بين النظام الذي حظر الاستغلال ، ولعنه ، واعتبره جرماً لا يغتفر ، وذلك بالتأسيس على القيم التي صانها وجدان المجتمع وضميره طيلة التاريخ ، وبين المشروع الاجتماعي الرأسمالي الجديد المتطلّع إلى فتح الأبواب أمام استغلال المجتمع والتسلط عليه ، دون الاعتراف بأي رادع أو عيب أو لعنة ، و (المقاربة الموضوعية ) هي المصطلح المفتاح لهذا المشروع.

## مفهوم نسق الحقيقة:

يُقصد بنسق الحقيقة الأساليب الفضلى التي توصل الإنسان إلى معنى الحياة ، و ذلك ، ولأنه جرى البحث عن الحقيقة في المجتمع البشري طويلاً ، وبرزت العديد من الخيارات كجواب لهذه الابحاث ، بدءاً من الميثولوجيات إلى الاديان ، ومن الفلسفة إلى العلوم الراهنة ، ومثلما لم يتم تصور العيش

في حياة خارج إطار هذه الخيارات ، فلا يمكن إنكار وجود واقع هزلي يشير إلى أن هذا الكم المتراكم من القضايا العالقة نابع من تلك الخيارات ، فالعيش معها وبدونها محال ، لكن الحداثة التي نحياها هي ذات فوارق فريدة من نوعها ، حيث بلغت حدود اللااستمرار في العديد من الميادين ، فالتضخم السكاني المفرط، نفاد الموارد ، دمار البيئة ، التصدعات الاجتماعية المتعاظمة بلا حدود ، الروابط الأخلاقية المنحلة ، انقطاع الحياة عن الزمان والمكان ، الحياة المفتقدة بجاذبيتها وشاعريتها تحت وطأة التوترات الكبرى ، أكداس الأسلحة النووية القادرة على إحالة الدنيا إلى صحراء قاحلة ، وضروب الحروب الجديدة اللامتناهية والمستفحلة في البنية الاجتماعية برمتها ، فكل ذلك يُذكّر بيوم القيامة الحقيقي ، والوصول إلى هذه المرحلة بحد ذاته مؤشر واضح على إفلاس أنساق حقيقتنا القائمة ، والجدير بالذكر هنا ، بأن التقسيمات القالبية الثنائية الأساسية المتحكمة بفكر الإنسان قد أضعفت المعنى وحرّفته ، من قبيل : ذاتي – موضوعي ، مثالي –مادي ، دياليكتيكي – ميتافيزيقي ، فلسفي –علمي ، ميثولوجي – ديني ، والتجذرات التي في هذه الثنائيات هي حصيلة لأخطاء الأسلوب الأساسي الذي أفضى إلى ظهور الحداثة الرأسمالية ، وقد دعم أصحاب السلطة والاستغلال تطور أو تطوير الأفكار ، والعقائد في هذا الاتجاه طيلة تاريخ المدنية ، لتؤدي دوراً بارزاً كأداة لاستمرارية وشرعنة النظم التي أسسوها ، ولتحقق ذروتها مع الرأسمالية، وتفسير هذه الثنائيات كتاريخ مجرد هو الأساس في درّ النفع للنظم السلطوية والاستغلالية القائمة عملياً ، ولو لم يُضيّق الخناق على ذهنية البشرية بهذه القرائن ، لما كان بوسع أي نظام سلطوي ، أو استغلالي أن يكون مؤثّراً لهذه الدرجة ، فاستمرار محورة الصراعات الذهنية حول هذه الثنائيات يؤدي إلى الجشع في مزيد من السلطة والاستغلال ، وبقدر نجاح الباحثين عن الحقيقة في مضمار هذه الثنائيات فقد تمكّنوا من احتلال مكانة رفيعة في مصاف أصحاب السلطة ، وداخل بؤر الاستغلال ، هكذا اضفيت الواقعية العظمى على مقولة (الحقيقة سلطة ،والسلطة حقيقة ) ، وإن نسق الحقيقة المذكور هنا هو الحليف الأمين لنظام الاستغلال السياسي ، أما محصلة هذا التحالف ، فهي المزيد من القمع والاستغلال ، وهذا بدوره يؤدي إلى ضياع وفقدان الحياة الحرة والفاضلة ، ولهذا فأول عمل يجب القيام به من حيث الأسلوب ، هو التخلي عن نسق الحقيقة ذاك ، والأمر في الحقيقة يتطلب موقفاً سلبياً ، أي التصرف السلبي على جميع الأصعدة إزاء نسق الحقيقة التابع للنظام القائم ، واتخاذ الموقف المعارض عبر تحليل نسق الحقيقة لذاك النظام ، وذلك لأنه لا يمكن الإمساك بمربط الفرس في النظام القائم ، أو البدء بحله وتفكيكه ، إلا بمقاومات باسلة

قيّمة ، وببذل الجهود لإنشاء المجموعات المعارضة ، ليس تجاه شِباك وأجهزة السلطة فقط ، بل وتجاه بؤر الاستغلال في كافة أماكنها .

## ما ماهية الذهنية الواجب اكتسابها ؟

للرد على هذا السؤال ، لابد من كشف النقاب عن الموضوعية والذاتية ، فالموضوعية : ليست تعبيراً عن قوانين الطبيعة والمجتمع مثلما هي عليه ، وإن القوننة الموضوعية هي الشكل العصري لعبارة (كلام الرب ) القديمة ، وإن العقل الموضوعي ، ونسق أصواته الصدّاحة ذو عرى وثيقة مع نظم المدنية القائمة ، حيث رُوّضت تلك الأصوات على يد تلك النظم ، وأصبحت مألوفة للآذان ، حتى ولو جُنِيت معلومات جديدة من الموضوعات ، فهي تُلَحق على الفور بأماكنها المخصصة لها ضمن النظام القائم ، فكل صاحب اكتشاف تقني جديد ، يُكبّل سلفاً أو لاحقاً بألف قيد وقيد على يد النظام القائم ، وفي حال الإصرار على العكس ، فسيتعرض لغضب آلهة النظام ، وأما الموضوعية بالنسبة لقوانين العلم ،فإن التمييز بين الاتجاه الذي يمثل النظام الحاكم المتأسّس ، وبين الاتجاه الذي يمثل الحقيقة ، يتطلب انهماكاً عظيماً وصموداً عنيداً ، أما نمط الفكر الموضوعي العائد غالباً للفكر التحليلي ، فسيؤدي مهمة الديناصور الثاني في التاريخ ، ما لم تتوثق عُراه مع الأفكار الحدسية (يقصد بالحدس المعرفة المباشرة للأشياء ) الآنية المتأتية من الذكاء العاطفي ، فالوحش المولد للقنبلة الذرية ليس سوى نسخة جديدة معدّلة من اللوياثان ( يقصد به كائن بحري ضخم يرمز به إلى الشر )القديم مجهزاً ببنية الفكر التحليلي للحداثة الرأسمالية .

أما الذاتية القابعة في القطب المقابل للموضوعية: فتدّعي الوصول إلى الحقيقة عبر مفارقات الإدراك الحسي ( ويقصد به العملية العقلية التي يُعرف بها العالم الخارجي ) دون الحاجة إلى الموضوع الشيء .

فالذاتية مسؤولة عن الفكر الدوغمائي المنحرف الذي مفاده (الحقيقة بقدر الأنا ) والنظام الرأسمالي مدين بالكثير لهذه البنية الفكرية ، فهذا النمط الفكري المنعكس على كافة الميادين الفنية ، وعلى راسها الآداب ، قد انتهى به المطاف إلى ابتداع عالم افتراضي ، حيث بسط نفوذه على المجتمع برمته بواسطة صناعة الفن ، فأمّن بأضعاف مضاعفة المشروعية التي يحتاجها النظام القائم الذي ابقى على المجتمع يئنّ تحت وطأة هجمات العالم الافتراضي لحظياً ، ليُترك متخبطاً على الدوام في انعدام القدرة على التفكير الذاتي ، وبذلك تمّ إسقاط الحقيقة إلى مستوى عالم التشبه والمحاكاة لتزول معاني الفرق بين الأصل والشبه ، والجانب الإيجابي للذاتية كإدراك حسي ،

هو ارتباطها عن قرب بالفكر العاطفي ، أي إن استكشاف الإحساسات والحدسيات في الإدراك الحسي يُعتبر جانباُ قوياً .
والجدير بالذكر أن الموضوعية تحتل مكانة راسختاً في ظل الحداثة الرأسمالية عبر الجامعات الوضعية ( والتي ترى أن الفكر البشري لا يستطيع الكشف عن طبائع الأشياء وأسبابها القصوى وغاياتها النهائية ) ، في حين تحتل الذاتية مكانة وطيدة عبر المؤسسات الروحانية ( والتي ترى أن الروح جوهر الوجود ) والدينوية لتنتجا المشروعية للنظام من جانبين مختلفين ، كما تؤديان بذلك دور المِزيتة والمَشحمة تجاه النظام ، عوضاً من أن تكون كل واحدة منهما أسلوباً أو نسقاً للحقيقة ، وباعتبارهما تشكلان البنية الكادرية والمؤسساتية لشرعنة السلطة والاستغلال ، فهما تتميزان بالفاعلية المماثلة لما تقوم به مؤسسات العنف والاستغلال .

## الحقائق المتركّزة في الإنسان :

1-إن الذرات التي تُعتبر بنية المادة تتميز بوجود ، وتكوين غنيين للغاية في الإنسان ، سواء من جهة تعدادها ، أو تريتبها .
2- يتميز الإنسان بأفضلية تمثيله لكافة البنى النباتية والحيوانية في العالم البيولوجي ( يقصد به علم الأحياء الذي يدرس بنى الكائنات الحية وخصائصها ، وتطورها التدريجي وطرق حياتها وتناسلها ) .
3-أسس الإنسان أرقى اشكال الحياة الاجتماعية .
4- يتمتع الإنسان بعالم ذهني مرن وحر للغاية .
5- يمكن ملاحظة قرينة الحيوية –الجمود بأغنى نطاقاتها وأمثلتها داخل الإنسان ، فالحيوية التي يتصف بها الإنسان تتضمن المزايا الأرقى من جميع الكائنات الحية ، ولقد حقق تطور الحيوية ذروته في الإنسان ، في حين بقي القسم المادي فيه متداخلاً في تطوره ، ومتماشياً مع تطور الحيوية ، ولا يزال انتظام المادة في دماغ الإنسان ، إلى جانب رقيه في الحيوية ن سراً مكتنفاً بالألغاز ، ولم يتحقق الوصول بالعلم بعد إلى المعلومات الخاصة بدماغ الإنسان ، إلا بنطاق محدود للغاية ، أما الروابط القائمة بين مهارة المادة في تنسيق ذاتها داخل دماغ الإنسان ، وبين مهارة الحيوية المرتقبة إلى حد القدرة على التفكير المجرد ، فلا تزال تشكل مشكلة عويصة تستلزم الاكتشافات الكبرى .
6- البحث في الإنسان كنوع حقق وجوده في مجتمع خاص به ، يُعدّ أسلوباً مهماً وثميناً بالنسبة إلى البحث عن الحقيقة ونسقها ، وذلك لأنه لا يوجد مجتمع بلا إنسان ، ولكن الخطأ الأكبر يكمن في اعتبار المجتمع مجرد تجمّع من الأناس ، فالإنسان بلا مجتمع هو كائن بدائي ، في حين أن الإنسان

المجتمعي قادر على التحول إلى قوة مذهلة ، وعلى بلوغ قدرة فكرية عظمى ، وبلوغُ المعرفة وبناء نسق الحقيقة مستحيلان من دون وجود المجتمع ، وكل ما يتحقق في الفرد الإنسان الناشئ لا بد له أن يكون مجتمعياً .

ولهذا فقد قامت نظم المدنيات ، بما فيها الحداثة الرأسمالية ، بالبحث في الإنسان منفصلاً عن التاريخ والمجتمع ، وتعاطت مع كل الأفكار والبنى المتشكلة المعنية بالإنسان ، وتناولتها بعين منفصلة عن التاريخ والمجتمع ، وطرحتها كإنجاز للافراد المتعالين على المجتمع ، ومنها ابتُدِعت فكرة الملوك المتسترين والعراة ، والآلهة المقنعة وغير المقنعة .

7- إن المرونة التي يتميز بها ذهن الإنسان هي الأرقى في مستواها ، فبنيته الفكرية تتميز بمرونة بالغة ، لأنها تتكون من القسم القديم في الدماغ ( الفص الأيمن ) الذي يعنى بالفكر العاطفي ، والذي هو أرقى وأكثر تطوراً نسبةً لمسيرة التطور التدريجي ، ومن القسم الجديد ( الفص الأيسر ) الأقرب إلى الفكر التحليلي ، والقابل للتطور الدائم ، في حين أن الفكر والعاطفة متقاربان في عالم الحيوان ، فالعواطف تتجاوب مع ما تتعلمه ، أي أنها تقوم بما هو مطلوب منها من خلال الأفعال المنعكسة المشروطة ، وغير المشروطة ، وهي ردود فعل آنية ، وهذه البنى ذاتها موجودة لدى الإنسان أيضاً ، فالخاصية الأولى لعقل الإنسان هي تميّزه ببنية مرنة للغاية ، ومن النادر وجود بنى ذهنية قادرة على الاختيار والاصطفاء الحر ، فيما خلا عقل الإنسان ، وأما الخاصية الثانية لعقل الإنسان هي تميّزه ببنية ذهنية مرنة منفتحة لتلقي كم كبير من الإدراكات الصحيحة والخاطئة ، وتأسيساً على هذه الميزة ، فبالإمكان تحريف وتوجيه هذه المرونة كيفما يراد ، وفي كل لحظة من خلال الضغط ، وعبر شبكة العواطف ، ولهذا السبب يجري اللجوء إلى آليات القمع والتعذيب ، إلى جانب الاعتماد على سياسات العصا والجزرة القائمة أساساً على اصطياد العواطف وتضليلها ، والإيقاع بها ، وتوجيهها نحو الخطأ .

8- إن تمتع الإنسان بطباع ومزايا ميتافيزيقية ، تجعله مثالاً فريداً من نوعه من جهة منهجية الأسلوب والمعرفة ، وبالمقدور جعل الأسلوب وعلم الابستمولوجيا (نظرية المعرفة )أكثر مهارة واستطاعة من خلال تحليل الخصائص الميتافيزيقية للإنسان .

## أسباب تصنيف المجتمع الإنساني صنفاً رئيسياً :

1-المجتمع تكوين يميز الإنسان عن الحيوان نوعياً .

2-مثلما يكون المجتمع من الأشخاص ، فهو ينشىء ويكوّن الافراد ، والنقطة المهمة التي يجب استيعابها هنا ، هي أن تكوّن المجتمع أو المجتمعات البشرية يتم على يد الإنسان وقدراته ، فالمجتمعات ليست

تكوينات أعلى من الإنسان ، بل هي من صنع خيال الإنسان وتصوراته ، لأنها تؤثر بعمق في ذاكرته ومخيلته ، حتى لو عكست نفسها في هيئة هوية ، فلولا الإنسان لما كان هناك مجتمع تحقق فيه الآلهة ديمومتها .

3-تتواجد المجتمعات ضمن حدود تاريخية ومكانية معينة ، فثمة أزمنة وشروط جغرافية معينة تنشأ ضمنها المجتمعات ، فما من مجتمع منفصل عن التاريخ ، او المكان الجغرافي ، أما القول بيوتوبيا (تعني الطرق المختلفة لتخيل ، أو إنشاء مجتمع مثالي ) المجتمع الأبدي الموجود في كل الظروف فليس سوى وهم لا أصل له ، فالتاريخ المعني بالكائنات الحية عموماً ، وبالإنسان على نحو خاص ، يعبر عن الزمان الذي يتعلق عليه تطور الكائنات الحية عموماً، والإنسان خصوصاً ، فوجود العديد من الفترات الزمنية ، وعلى رأسها الفصول الأربعة ، شرط ضروري لتكوّن الأنواع الحية ، علماً أن اصطلاح الأبد- الأزل معني فقط بحقيقة ( التغير ) ، فالشيء الوحيد الذي لا يتغير ولازمان له ، هو التغيير ذاته ، في حين أن العلاقة بين التاريخ والمجتمع أكثر وثاقةً ، وأكثر قصراً على الصعيد الزمني ، فبينما نتحدث عن مليارات السنين فيما يتعلق بعمر الكون ، فإننا نجد أنه لا يمكن إطلاق اصطلاح (المجتمع الطويل الأمد ) إلا إذا تجاوز عمره آلاف السنين فحسب ، أما الفترات الزمنية الشائعة ، فهي من قبيل: اليوم ،الشهر ، السنة ، القرن ، وماكن المجتمعات هو علاقة وثيقة بالوجود النباتي والحيواني أساساً .

والكثير من المدارس الفكرية والبنى الدينية المتكوّنة ، والمبنية ضمن التقاليد الهرمية والدولتية تعمل على نقش فكرة النظام المبتور من المكان ، والتاريخ الاجتماعي في ذهن الإنسان ، وكأنه قدر محتوم ، فمثلما يُزعم أن بعض الشخصيات البطولية قد صنعت التاريخ ، هكذا يقوم المفكرين والواعظين الدينيين بالحديث الدائم عن تأسيسهم للأنظمة الفكرية، والدينية المنقطعة عن المجتمع التاريخي ، ورغم تخصيص حيّز فسيح للعلم ضمن النظام الرأسمالي ، إلا أنه يُبدي عناية كبرى للفكر المبني على الفرد فيما يتعلق بالمجتمع على وجه التخصيص .

4-الوقائع الاجتماعية ذات طابع مصنوع ، ومُنشَأ ، والضلال الذي طالما يقع فيه الأناس ، هو إناطتهم المؤسسات والبنى الاجتماعية بخاصية تبديها ، وكأنها وقع طبيعي ، وبالتالي تقدّم النظم المشروعة المتحكمة بالمنظومات الاجتماعية نفسها على أنها المقّدسة ، والثابتة دوماً ، وتعظ بمنهجية مدروسة بأنها صاحبة المؤسسات ، والكيانات الإلهية ، وأنه تم تكليفها ، وتعينها لهذه الغاية ، وفي الحداثة الرأسمالية تعمل هذه النطم على حقن العقول في المجتمع بأن الكلمة الفصل قد قيلت ، وأنه لا بديل للمؤسسات الليبرالية ، وأنه قد حلت نهاية التاريخ )، كما تتطرق باستمرار إلى الدساتير

، والنظم السياسية الثابتة العصية على التغيير أو التعديل ، مع أنه وبنظرة خاطفة لمسيرة التاريخ سنجد أن عمر هذه البنى الثابتة والعصية على التغيير لم يكمل المئة عام في أي زمان ، والمهم هنا هو اللجوء إلى المقولات الأيديولوجية (الفكرية ) ، والسياسية التي تقيد فكر الإنسان وإرادته يومياً ، فبؤر السلطة والاستغلال بحاجة ماسة إلى هذه الآداب الأيديولوجية والسياسية الرصينة ، حيث أنه وبدون اللجوء إلى تلك الآداب ، سيكون من العسير عليها إدارة المجتمعات الراهنة ، ولهذا الغرض طورت من الوسائل والأجهزة الإعلامية على نطاق واسع ومتنوع ، بالإضافة إلى إلحاق المؤسسات العلمية والفكرية ببؤر السلطة والاستغلال بشكل ساحق .

فبقدر ما نعي أن الحقائق الاجتماعية حقائق منشأة تكراراً ومراراً ، فسنحكم حينها على نحو أفضل وبمعيار أصلح بضرورة هدمها ، وإعادة بنائها ، إذ ما من حقائق اجتماعية مستحيلة الهدم أو التغيير ، وعلى وجه الخصوص هدم المؤسسات القمعية والاستغلالية وتخطّيها كضرورة حتمية لأجل الحياة الحرة ، فالحقيقة الاجتماعية هي جميع المؤسسات الأيديولوجية والمادية في المجتمع ، ففي كافة الميادين الاجتماعية تتأسس الحقائق الاجتماعية على الدوام في الظروف الزمانية والمكانية المناسبة ، وتُهدم ، أو تُرمم، أو تُبنى الجديدة منها ، بدءاً من اللغة إلى الدين ، ومن الميثولوجيا إلى العلم ، ومن الاقتصاد إلى السياسة ، ومن القانون إلى الفن ، ومن الأخلاق إلى الفلسفة .

5- من المهم عدم النظر المجرّد إلى العلاقة بين المجتمع والفرد ، فالأفراد هم الناشئون عبر التاريخ بتقاليد وأعراف معينة ، ولهم لغاتهم ، ويشاركون في البنى والمؤسسات الموجودة في كافة الميادين الاجتماعية ، وهم لا يشاركون في المجتمع حسب هواهم ،بل وفق ما تمليه عليهم أعرافه وتقاليده ومؤسساته المُعَدّة بعناية قصوى منذ أمد سحيق ، وبالإضافة إلى أن مجتمعية الفرد تستلزم جهوداً تربويةً وتعليميةً عظمى ، فالفرد لايصبح عضواُ منتمياً للمجتمع إلا بعد ان يتمثل الثقافة التي تشكل ماضي المجتمع ، فالمجتمعية تتحقق بجهود حثيثة متواصلة ، وكل عملية اجتماعية ، هي في الوقت ذاته عملية مجتمعية لذلك فالافراد لا ينشؤون كما يشاؤون ، بل لا يمكنهم الخلاص من النشوء والترعرع وفق مشيئة مجتمعاتهم ، لكن لا شك في نزوع الفرد للمقاومة ، وفي تطلعه الدائم إلى الحرية في المجتمعات الطبقية والهرمية ، كونها مجتمعات منفتحة على القمع والاستغلال ، فالفرد لن يقبل طوعاً بالمجتمعية المنشئة للعبودية والخنوع ، كما أنه سيبدي مقاومة وصموداً أعظم حيال المجتمعات الدخيلة والمختلفة عنه ، والمستغلة له ،كي لا يلتحم معها ، أو ينصهر في بوتقتها ، ومع ذلك فستستمر المساعي لإجراء التغيير عليه ، بل وحتى للقضاء عليه تحت نير قمع تلك المجتمعات ،

وإفنائه داخل مسننات مؤسساتها التعليمية ، فالمجتمعات التي تطحن الفرد في مسسنناتها التي تشبه الطاحونة ، تشكل عجيناً على هواها من الطحين والخميرة التي بين يديها ، وستبقى التناقضات بين المؤسسات ، وبين الإنسان الذي يقاومها قائمة على الدوام ، وسيعمل الفرد على احتلال مكانٍ له ، داخل المجتمع ضمن إطار التوازنات المرتكزة إلى الوفاق ، فلا المجتمع لديه القدرة المطلقة على صهر الفرد ، ولا الفرد لديه إمكانية الانقطاع الكلي عن المجتمع .

## سمات الميتافيزيقيا:

1-الأخلاق هي خاصية الإنسان الميتافيزيقي .
2-الدين خاصية ميتافيزيقية مهمة .
3-لا يمكن تعريف الفن بكافة فروعه إلا بالميتافيزيقيا .
4-يتناسب المجتمع المؤسساتي ، بل والمجتمع برمّته ،مع التعريف الميتافيزيقي بالأكثر .

## لماذا وكيف يكون الإنسان ميتافيزيقياً ؟:

يكون الإنسان ميتافيزيقياً للأسباب التالية:
1-آفاق قدرة التفكير عند الإنسان ، فالإنسان الذي يُعتبر كوناً مدركاً لنفسه ، مضطر لبناء ذاته بما يفوق المستوى الطبيعي ، كي يتمكن من تلافي ما يحل به من حوادث وانفعالات بكل أفراحها وأتراحها ، ولا مجال آخر أمامه للتغلب على الآلام واللذات الجسدية ، فإبداء قدرة التحمّل إزاء إدراكات عديدة كالحروب والموت ، والشهوات والرغبات والجماليات وغيرها ، بحاجة ضرورية واضطرارية للأفكار والمعتقدات ، والمؤسسات الميتافيزيقية ، وحتى لو لم يكن الله موجوداً ، فإنه يعمل على ابتداعه ، وعلى تطوير الفن ، والسمو بالمعارف بغية تلبية هذه الاحتياجات والشعور بالسكينة والطمأنينة .
فالميتافيزيقيا من حيث كونها تعني ما وراء الطبيعة ، يجب عدم إنكارها كثيراً ، ولا إغداقها بالمديح الزائد ، فحقيقة الإنسان هو الموجود الأكثر تضييقاً لخناق الحدود الطبيعية ، فعيشه للميتافيزيقيا باعتبارها (ما وراء الطبيعة ) يتأتى من خاصياته الوجودية ، وبالتالي ، لا معنى للدفاع عن ضرورة بقائه ضمن الإطار الطبيعي فحسب ، بل أن البقاء داخل الحدود الطبيعية سيؤدي غالباً إلى تعريف الإنسان الميكانيكي .

2- إن عدم قدرة المجتمع على الاستمرار دون الأخلاق يستلزم التميز بالميتافيزيقية ، حيث لا يمكن تنظيم المجتمع إلا بوساطة الأخلاق ، باعتبارها محاكمة حرة ، ويمكن إرجاع انهيار روسيا الاتحادية ، ومصر الفرعونية إزاء كافة ضروبهما في العقلانية ، إلى افتقارهما للأخلاق ، فالعقلانية وحدها عاجزة عن تأمين صيرورة المجتمع ، وهي عاجزة عن تحقيق تماسكه كمجتمع إنساني ، وذلك لأن الأخلاق تتسم بمزايا أهمها :

القدرة على تحمل الالآم وتلبية متطلباتها ، والحد من الرغبات والشهوات واللذات ، وربط التناسل بالضوابط الاجتماعية ، بدلاً من القواعد الطبيعية ، وإصدار القرارات إزاء ترجيح الامتثال أو الإخلال بالتقاليد والأعراف والدين والقوانين ، فمثلاً يعد ربط الأخلاق للعلاقة الجنسية المؤدية إلى التناسل بالقواعد ضرورة لا بد منها بالنسبة للجنس البشري ، ذلك أنه لا يمكن تحقيق ديمومة المجتمع ، ما لم يُضبط التعداد السكاني فيه ، وهذا الموضوع بذاته كاف لتبيان الضرورة القصوى للميتافيزيقيا الأخلاقية .

3- يخلق الإنسان كوناً خاصاً به عبر الفن ،ولا يمكن استمرار المجتمع إلا بالإبداعات القائمة في الميادين الأساسية ، كالصوتيات والرسوم والمعمار ، حيث لا يمكن تصور مجتمع بلا موسيقا ، وبلا أدب ، وبلا عمار ، وكل الإبداعات الموجودة في هذه الميادين تعني الميتافيزيقيا، التي هي ضرورة لا مفر منها لتأمين استمرارية المجتمع ، فالفن يلبي احتياجات الإنسان في الجماليات كتصور ميتافيزيقي كلياً ، فكيفما يولِ الإنسان المعاني للسلوكيات الأخلاقية عبر ترجيحه بين الفاضل – الرذيل ، فإنه يضفي المعاني على السلوكيات الفنية عبر حكم الجميل –القبيح .

4-ميدان الإدارة السياسية مشحون بالأحكام الميتافيزيقية ، وهو بحد ذاته عبارة عن إنشاءات ميتافيزيقية ، حيث لا يمكن شرح السياسة بالقوانين الطبيعية ،فالسقف الأعلى لنمط الحكم بالقوانين الطبيعية ، هو تأمين التحوّل إلى روبوت آلي ، بينما يتجسد الوجه الثاني لها في سياسة (رعاية الرعية )، أي (تبعية القطيع الفاشية ).

5-ميادين القانون والفلسفة والدين ، بل وحتى (العلموية ) مشحونة بالميتافيزيقيا ، فكافة هذه الميادين بجوانبها الكمية والكيفية مترعة بالمنجزات الميتافيزيقية في المجتمع التاريخي .

## المقاربات الميتافيزيقية :

1-جرى تبجيل المقاربات الميتافيزيقية على طول المسار التاريخي ، فُنِظر إليها على أنها الحقيقة الأولية المطلقة ، أو أنه عدها المعارضون لها ميداناً

مشحوناً بالمكر والزيف ، فنقدوها ، ودحضوا واقعيتها ،واعتبروها مجرد آلية تعمل، أو كلام يقال بهدف خداع الإنسان وتضليله ، ويمكن التأكيد بكل سهولة على أن كلتا المقاربتين غافلتان عن ماهية وعي المجتمع التاريخي ، أو أنهما بالغتا فيه ، وضخمتا من شأنه للغاية ، والخاصية التي لم ينتبه إليها أصحاب كلا المفهومين هي : من أية ميزة أو حاجة مجتمعية أو فردية ، نبعت الحاجة إلى الميتافيزيقيا ؟

فالذين أعلوا من شأنها، أهملوا روابط الميتافيزيقيا بالعالم الطبيعي ، وخدعوا أنفسهم باعتبارها تعني الحرية اللانهائية ، وأصحاب هذا الفريق ، إما أنهم أنكروا الروابط بين الفكر والروح، وبين العالم المادي ، أو أنهم حرفوها ، ووقعوا في أخطاء فادحة ، ومبالغات كبيرة ، كانتقالهم من الاعتقاد بوجود نظام الآلهة المتعالية الفائقة إلى تأليه الإنسان بذات نفسه .

أما فريق منكري أهمية الميتافيزيقيا ، فقد هاجموها بحدة تحت راية العالم المادي أو المدنية المادية سابقاً ، أو باسم العقلانية والوضعية مؤخراً ، فكل شيء تفوح منه رائحة الميتافيزيقيا، هو عدوى مرضية ، ووسيلة خداع ، ويتوجب رفضه كلياً ، ولكن جرى التنبه جيداً فيما بعد إلى أنه تم فتح الطريق أمام دمار المجتمع التاريخي وتشتيته؛ عن طريق التيارات العقلانية والوضعية التي تنادى بها الحداثة الرأسمالية على وجه الخصوص ، حيث أفضت إلى أنماط حياة من قبيل (القطيع الفاشي ) و (الإنسان الآلي ) و(المحاكاة ) ، وقد قضت في المحصلة على البيئة أيضاً ،وكان لابد للتشبث المفرط بالقوانين الطبيعية ان يؤدي إلى دمار المجتمع وحلحلته ، ليكون ذلك أسطع برهان على أن(العلموية ) هي أسوأ ضروب الميتافيزيقيا .

2-أما أصحاب الزمرة الحيادية ، والذين يأخذون أماكنهم في صفوف المجموعة التي يمكن نعتها ب(النهليستية ) أو(العدمية والتي تتميز بإنكار لوجود كل شيء إذا كان مطلقاً )،حيث يزعمون بأنهم ليسوا مضطرين للانحياز إلى طرف ، وأنه لا داع لموالاة الميتافيزيقيا أو مناهضتها ، وإنه بالإمكان العيش باستقلالية تامة ، ومن الضروري الإشارة إلى أن هذه الزمرة التي تبدو بريئة ظاهرياً ، تشكل المجموعة الأكثر خطراً من حيث المضمون ، فأصحاب الطرفين الآخرين لهم طموحاتهم وغاياتهم الكبرى على الأقل ، وهم مدركون لقيمة المثل التي يمثلونها ، وعازمون على تشكيل المجتمع وإعادة بناء الفرد ، أما أصحاب الزمرة الحيادية ، ورغم عيشهم ضمن المجتمع واعتمادهم على قيمه ومُثُله ، إلا أنهم يسلكون مواقف نهليستية ، ويؤمنون بإمكانية العيش بشكل لا ينتمون فيه إلى ذلك المجتمع ، إنها المجموعة الأقرب إلى الميتافيزيقيين العلمويين ، والتي ضاعفت الحداثة الرأسمالية من تعدادها ، لتتعاظم كالكرة الثلجية ، وهي تتكون من

عناصر هشة ومن منحطة ضمن المجتمع المنهار والمتفكك ، والتي يمكن نعتها بالأقرب إلى الحيوانية .

3- للميتافيزيقيا حقيقة هيكلية مجتمعية ، ولتطويرها إلى الفاضل الجميل ، الحر ، الصحيح في ميادين الأخلاق والفن والسياسة والفكر ، مهمة أساسية فمواصلة البحث عن الفاضل الجميل ، الحر ، والصحيح تشكل جوهر الحياة الفاضلة ، ولكن بشرط عدم سلوك المواقف التي تدحض الميتافيزيقيا كلياً ، أو تستسلم لها ، وعدم السقوط في حماقة الاستقلالية التامة عنها .
فالميتافيزيقيا ليست قضاءً مكتوباً ، ولكن من المحال التراجع عن إيجاد وتطوير الأكثر فضيلة وجمالاً وحريةً وصحةً ، فبقدر ما يكون الاستسلام للسوء والقبح والعبودية والخطأ ليس قدراً محتوماً ،فإن نمط الحياة الفاضلة والجميلة والحرة والصحيحة ليس محالاً ، وكما اننا غير مرغمين على قبول الحياة النهليستية الناجمة عن الخيار الأسوأ في اللامبالاة واللاحل .

## كيفية تطوير الأسلوب والنمط في المعرفة :

لتطوير الأسلوب والنمط في المعرفة ، وذلك لتحقيق الانطلاقات المنادية بالحرية والديمقراطية كترجيح ضروري يُسلك للنفاذ من مرحلة الفوضى البنيوية التي تمر بها الحداثة ، لا بد من اتّباع البنود التالية :
1-يجب رؤية وانتقاد الروابط بين الرأسمالية والرؤية (البراديغما) التي أسس دعائمها كل من روجر (فيلسوف ساهم في نهضة العلم ، ورفع من قيمة التجربة العلمية) ، و فرنسيس بيكون ( فيلسوف آمن إيماناً مطلقاً بالعلم ، وبقدرته على تحسين أحوال البشر ، فجعل العلم أداة في يد الإنسان تعينه على فهم الطبيعة ، وبالتالي السيطرة عليها ) ، وديكارت الذي سمي ب( أبو الفلسفة الحديثة ) ،( ويقوم منهجه على البداهة ،أي ، التصور الذي يتولد في نفس سليمة منتبهة عن مجرد الأنوار العقلية ، والاستنباط ، أي ، العملية العقلية التي تنقلنا من الفكرة البديهية إلى نتيجة أخرى تصدر عنها بالضرورة ) ، بشأن الأسلوب والعلم .
2- يجب رؤية الغاية من تجذير الفصل بين الذاتية والموضوعية، وعكسه على العديد من الثنائيات الأخرى ، حيث تتمثل في تقييم المجتمع (الموضوع الشيء) كمصدر منفتح لكافة أنواع الاستغلال ، والاضطهاد على يد الفردية ( الذات الفاعلة ).

3- هذه الرؤية في الأسلوب والعلم ، نظرت بعين طبيعية إلى التمييز بين البرجوازي ، والبروليتاري ضمن المجتمع ، وادت بالتالي إلى استخدام البروليتاري كموضوع شيء .

4- وضعت الحداثة الرأسمالية اللبنة الأساسية لفرضية العلم – السلطة ، انطلاقاً من عبارتها ( العلم قوة ) ، وحولت الاتحاد المبكر بين العلم ن والسلطة إلى سلاح أساسي بيد النظام الحاكم .

5- قامت الحداثة الرأسمالية بجعل الخرافات ، والعقائد الثبوتية المنحرفة البارزة كفاية في الدين والميتافيزيقيا ، وسيلة لتحويل العلوم إلى دين جديد على غرار العلم الوضعي ، وأسست دينها ، وبسطت نفوذها باسم الصراع بين الدين والميتافيزيقيا .

6- جعلت الحداثة الرأسمالية من الليبرالية أيديولوجية رسمية لها ، وحولتها إلى أداة مثالية في الوفاق من جهة ، واستخدمتها كسلاح فتّاك في إلحاق كافة الأيديولوجيات المعارضة بذاتها ، وصهرها في بوتقتها من جهة ثانية ، وأصبحت كاليد الخفية ، والعقل الخفي لتبسط نفوذ أقوى هيمنة أيديولوجية .

7- وبينما أضفت الحداثة الرأسمالية الطابعة الرأسمالي على الليبرالية والوضعية ، فقد حطت من أهمية التيارات الأيديولوجية ، والمدارس الفكرية الأخرى ، وثابرت في جهودها تلك حيال المعارضين لها بصورة خاصة ، إلى أن ألحقتهم بذاتها .

8- حطت الحداثة الرأسمالية من شأن الفلسفة والأخلاق ، وقللت من فرص المناهضين للنظام القائم في تقديم الإرشادات ، أو رسم المنظور ، او أتخاذ المواقف اللازمة بمعنى ( الاختيار الحر يساوي الأخلاق ) .

9- حققت الحداثة الرأسمالية تشتت العلم ، وانقسام تكامله الداخلي ، وقوة معانيه ، بفرض الضوابط عليه ، لتقوم بشرح الفيل بوبره ، والغابة بشجرة منها ، فالعلم المشتت إرباً إرباً يسهل ربطه بالسلطة ، وتحويله إلى ميدان تقني يدر الربح الوفير ، هكذا غدت الغاية الأولية من العلم ، والمعرفة كسب الربح الأكبر لا اكتشاف المعاني الأصيلة للحياة، وتم الانتقال من منهاج العلم –الحكمة إلى منهاج العلم –القوة –المال ، أي أن تحالف العلم – السلطة – رأس المال ، هو التحالف المقدس الجديد للحداثة .

10- وبالإضافة إلى المرأة التي اكتمل تأنيثها في ظل الحداثة الرأسمالية بتصييرها العبد الأرقى على يد حضارة المدينة الطبقية ، فقد جرى تأنيث الرجل بفضل المواطنة لتتحقق بذلك تبعية المجتمع برمته وتصييره (حرمة ) فحسب هتلر ( المجتمع كالزوجة الذليلة ) ، وإنه بالنسبة إلى الدولة القومية أشبه ب( الحصان الركوب ) ، أو (العورة ) .

11- تحولت السلطة في الحداثة كأمر واقع ، إلى ساحة حرب دائمة ، سواء داخل المجتمع ، أو فيما بين المجتمعات ، إذ لم يعد ثمة معنى للتمييز بين الدولة والمجتمع ، وعبارة توماس هوبز ، (وهو فيلسوف إنكليزي ، ألمّ بالفلسفة ، والرياضيات ، وفلسفة السياسة ، والدولة، والكيمياء) ، (حرب الكل ضد الكل) ، والتي قالها في مجتمع ما قبل الرأسمالية ، تصبح أكثر تأثيراً ، وشيوعاً في ظل الحداثة الرأسمالية ، وما الإبادات العرقية سوى ذروة هذه الحروب .

12- لقد تولدت أزمة بنيوية حادة بسبب اكتمال مرحلة التوسع في المركز والأطراف ،في ظل نظام الحداثة الرأسمالية ، ووصول الدمار الأيكولوجي أبعاداً يستحيل الاستمرار معها ، البطالة ، الفقر المدقع ، تدني الأجر ، وصول البيروقراطية درجة تبتلع فيها كل ما حولها ، دكّ ( إغلاق أو سد ) دعائم المجتمع الإلهي ، وهيمنة شريحة المستثمرين الماليين العالميين المنعزلة عن الإنتاج والأكثر تطفلاً ، وبالمقابل تطور شِباك المقاومة في كافة الميادين لدى سواد المجتمع .

13- تحتوي مراحل الأزمات البنيوية التشابك والتداخل بين الانطلاقات الثورية والانطلاقات الثورية المضادة ، وكذلك بين الانطلاقات الديمقراطية المفعمة بالحرية ، والانقلابات التوتاليتارية (هي شكل من أشكال التنظيم السياسي للمجتمع ، يقوم على إذابة جميع الأفراد، والمؤسسات، والجماعات في الكل الاجتماعي ) ، والفاشية ( هي تيار سياسي وفكري ذات نزعة قومية عنصرية تمجد الدولة إلى حد التقديس) ، ومن يقوم بتطوير أنماط الأسلوب ، والنظم العلمية بأكفأ الأشكال ، ليجعل منها أرضية أولية لنشاطاته العملية ، هو الذي سيحالفه الحظ في إنشاء النظام المجتمعي الجديد .

14- في أوج الأزمات البنيوية ، والفوضى البينية ( والتي تدل على الفترات اللحظية التي تشهد تغيرات نوعية آنية في الأحداث الطبيعية ) ، تستطيع الحركات الديمقراطية ، والأيكولوجية ، والتحررية ، والمنادية بالمساواة ( العادلة ) عبر حملاتها الصغيرة ، والمؤثّرة ، والمستمرة على فترات قصيرة متلاحقة ، أن تؤسس الكيانات القادرة على تحديد معالم المستقبل على المدى الطويل .

## ما يجب القيام به بناءً على الحقائق السابقة :

1-تقييم علم الاجتماع بأبعاده التاريخية والمكانية كدليل عمل للنشاطات السابقة.

2- تطوير الحل خارج نطاق النظام القائم ،بمناهضة الحداثة الرأسمالية ، اعتماداً على الحقائق السابقة ، وكذلك انطلاقاً من حقيقة كون الحداثة

الرأسمالية بنية سرطانية مستفحلة تطفح أغراضها على سطح العديد من الميادين .

3- تجاوز كافة الثنائيات الفظة المرتكزة أيديولوجياً إلى التمييز بين الذاتية والموضوعية ، وفي صدارتها المثالية –المادية ، والدياليكتيك – المتيتافيزيقيا

، والليبرالية – الاشتراكية ، والتأليهية ( مذهب يثبت وجود الله بالأدلة العقلية ، ويؤمن به بغير اعتقاد بديانات ، أو عقائد منزّلة ) –والإلحادية ( مذهب قائم على الكفر والتشكيك بالله ) ، والعمل أساساً بعلم المعنى (فن التفسير) الذي يتبنى كافة المنجزات العلمية .

4- عدم إنقاص ، أو إهمال أهمية ميتافيزيقية الإنسان المعتمدة على الفاضل ، الجميل ، الحر ، الصحيح ، سواء في الأساليب النقدية ، أو في حملات الإنشاء الجديدة .

5- اعتماد اصطلاح السياسة الديمقراطية أساساً .

6- تأسيس الآلاف من منظمات المجتمع المدني ( يمكن أن تضمن من ثلاثة أشخاص إلى آلاف الأشخاص ، حسب فاعليتها ، وفوائدها ، وضرورتها ) في كافة الميادين التي تتواجد فيها ، الأزمة ، السلطة ، وذلك انطلاقاً من اصطلاح السياسة الديمقراطية .

7- تكوين أمة المجتمع الجديد المزمع بناؤه ، بحيث تكون أمة ديمقراطية ، وبينما تكون الأمة الديمقراطية منفصلة عن الدولة القومية ، فمن الضروري عدم صرف النظر عن حقيقة إمكانية تجانبهما ، بل وحتى تداخلهما .

8- تطوير شكل الإدارة السياسية للأمة الديمقراطية على أساس الكونفدراليات الديمقراطية المحلية ، والمناطقية ن والإقليمية ، والعالمية ، ( أي يمكن تنظيم مختلف الأمة كأمة ديمقراطية واحدة ، كما يمكن تنظيم الذات على نحو دولة قومية وأمة ديمقراطية ضمن إطار الأمة ذاتها ، في حين تكون الكونفدراليات الديمقراطية الإقليمية ، وكونفدرالية الأمم الديمقراطية العالمية ضرورية للغاية ، حيث يمكنها تأدية مهامها ، وإبداء تأثيراتها الحاسمة في حل المشاكل العالمية العالقة ، والمشاكل الوطنية والمحلية أيضاً على نحو أجدى ، وأكفأ من هيئة الأمم المتحدة الحالية ).

9- تطوير المجتمع الديمقراطي كمعارض نقيض للصناعة التقنية المتبقية من الحداثة ، والتي تعد إحدى أمتن دعائمها ( حيث ترتكز الحداثة الرأسمالية إلى دعائم ثلاثة أساسية : أ- الإنتاجيات الرأسمالية ،ب- الصناعوية، ج- الدولتية القومية ) ، وإضفاء الطابع الأيكولوجي على الاقتصاد والتقنيات .

10-تمكين الدفاع الاجتماعي من قبل الميليشيات الشعبية .

11- إنشاء الأنظمة الأسرية الجديدة المعتمدة على توجه المرأة من عبوديتها الغائرة نحو حريتها المتجذرة ، ومساواتها العميقة ، عوضاً عن النظام الذكوري المستند إلى الأسس الهرمية والدولتية الوطيدة .

## الخاتمة :

بناءًعلى ما سبق ، نستخلص النتيجة التي ختم بها القائد عبدالله أوجلان الفصل الأول من مرافعته الأولى قائلاً فيها :

(إن زمان الحداثة الرأسمالية ، هو في نفس الوقت الزمان الذي أقامت فيه يوتوبيات الحرية والمساواة ، القيامة ولم تقعدها ،وقد بذلت الشعوب جهوداً حثيثة وعظمية في سبيل إحياء هذه اليوتوبيات ، وأريقت بحور من الدماء ، وتعرضت الشعوب لتعذيب لا حصر له ، وعانت آلاماً مريرة ، لذا ، لا يمكننا اعتبار أن كل ذلك ذهب سدىً ، وعلى النقيض ، فالسعي لتحليل كافة هذه المعضلات هو بغاية الوصول بهذا التاريخ إلى تفسير سليم لإنارة دربنا ، ولتحقيق الالتحام بين يوتوبياتنا وحياتنا ، لنتمكن من التوجه قدماً ومجدداً صوب الحياة الخلابة الجذابة ، والمنسوجة بالعشق والهيام ، فالانتقال إلى أنماط الحياة الطوباوية ( المكان الذي لا وجود له ) المتميزة بالآمال الراسخة ، يستلزم بذل الجهود الحثيثة دون كلل أو ملل .

لن نتجاوز حدودنا بالرغم بأننا نحن الذين نبتدئ بالأسلوب ، والنظام العلمي مجدداً ، لكني عملت في كل المواضيع التي حاولت تناولها على الإشارة إلى وجود بعض الأمور التي تجري في مسار خاطئ ، والتنويه إلى أن السبب في ذلك ذو منبع فكري .

## الفهرس :

1-المقدمة
2- تعريف الأسلوب
3- أنواع الأسلوب
4- الانتقال من المفهوم الميثولوجي إلى المفهوم الديني الدوغمائي

5- الأسلوب الديني والأسلوب الدوغمائي
6- دور المنهج العلمي في النظام الرأسمالي
7- مفهوم نسق الحقيقة
8-ما ماهية الذهنية الواجب اكتسابها ؟
9- الحقائق المتركزة في الإنسان
10- أسباب تصنيف المجتمع الإنساني صنفاً رئيسياً
11-سمات الميتافيزيقيا
12- لماذا وكيف يكون الإنسان ميتافيزيقياً ؟
13 –المقاربات الميتافيزيقية
14- كيفية تطوير الأسلوب والنمط في المعرفة
15- ما يجب القيام به بناءً على الحقائق السابقة
16-الخاتمة